

العقل مُنتَصِرًا، أو الفلسفة في مواجهة الأسطورة عند جان بيير فرنان

The Triumph of Reason, or Philosophy's Confrontation with Myth in the Thought of Jean-Pierre Vernant

سمير جواق¹، كريمة بوستة²Samir djouak¹, karima boust²1 جامعة محمد الصديق بن يحيى -جيجل (الجزائر)، samir.djouak@univ-jijel.dz2 جامعة ابن خلدون -تيارت (الجزائر)، karima.bousta@univ-tiaret.dz

تاريخ النشر: 2025/11/30

تاريخ القبول: 2025/09/21

تاريخ الاستلام: 2025/05/08

الملخص: يهدف هذا المقال إلى تناول موضوعية فكرية في غاية الأهمية، وهي العلاقة بين الفلسفة والأسطورة في إطار المواجهة بينهما، والتي انتهت بإعلان انتصار العقل من خلال مجاوزته للميثية/ الميتوس؛ هذه المَجازة التي تجلّت في اكتشاف اللوغوس وتأسيس الفكر الوضعي والانخراط في التنظيم السياسي، بحيث لم يعد تفسير الأشياء بإرجاعها إلى قوى ما وراثية (فوق طبيعية) بل بالمناقشة والحوار والمحااجة العقلانية في الساحة العامة (الأغورا). وذلك وفق المقاربة الفلسفية التي قدمها "جان بيير فرنان"، الذي يُعد أحد أهم المشتغلين على الفلسفة اليونانية وأصولها. ولهذا الموضوع أهميته الراهنة، في فهم ميلاد العقلانية ونشأتها وتحولاتها من رحم بيئة كان الفكر الميثوبي فيها نموذجاً لفهم الحياة والوجود.

كلمات مفتاحية: جان بيير فرنان، اللوغوس، الميتوس، الفكر الوضعي، المجتمع السياسي

Abstract

This article aims to address a highly significant intellectual topic: the relationship between philosophy and myth within the context of their confrontation—a confrontation that culminated in the declaration of reason's triumph through its surpassing of myth (mythos). This transcendence was manifested in the discovery of logos, the establishment of positivist thought, and engagement in political organization (polis), such that the interpretation of phenomena was no longer rooted in metaphysical (supernatural) forces, but rather in discussion, dialogue, and rational argumentation in the public space (agora). This approach is based on the philosophical perspective of Jean-Pierre Vernant, one of the most prominent scholars of Greek philosophy and its origins. The topic retains contemporary relevance in understanding the birth, emergence, and transformations of rationality from within a context where myth-based thought was once the dominant model for interpreting life and existence.

Keywords: Jean-Pierre Vernant, Logos, Mythos, Positivist Thought, Political Society.

المؤلف المرسل: سميير جواق، الإيميل: samir.djouak@univ-jijel.dz

1. مقدمة :

يُعد "جان بيير فرنان" Jean-Pierre Vernant (1914-2007)، واحداً من أهم الوجوه الفكرية البارزة على مستوى الخطاب الفلسفي الراهن، والمعروف على أوسع نطاق، باشتغاله بشكل خاص على الفلسفة اليونانية وأصولها مُحاولاً تقديم قراءاتٍ جديدةٍ لها، وهو ما تُوحى به عناوينُ كُتبه المتعددة والمتنوعة، ومنها "الأسطورة والفكر عند اليونان" *Mythe et pensée chez les grecs*، و"أصول الفكر اليوناني" *Les origines de la pensée grecque*، وغيرها من الكتب والمقالات التي ألّفها هذا المفكر الفرنسي، والتي يمكن القول أنها تتمحور حول موضوعٍ واحدٍ تُشكّل الخيط الناظم لمنظومته الفكرية والفلسفية، وهي العلاقة بين "الأسطورة" و"الفلسفة"؛ أي البحث في الحيز المعرفي لأصول العقلانية وجذورها الأولى، ومظاهر مُجاوزتها للفكر الميثوبي، وهو الموضوع الرئيسي الذي تُحاول هذه الدراسة الاشتغال عليه.

وتبعاً لذلك، يُمكن القول، أن البحث في العلاقة بين الأسطورة والفلسفة والمواجهة بينهما، كانت محلّ اشتغالٍ فلسفي عبر تاريخه الطويل، ووجهةً للباحثين في دراساتهم وتأملاتهم الفكرية، نظراً لأن كل نموذج فكري سواء أسطوري أو فلسفي، هو في حقيقة الأمر تعبيرٌ عن رؤية خاصة للحياة والوجود. وعليه فلا غرابة، أن يأتي الحديث عن هذه الموضوعات الفكرية في كل مرة تكون فيها بحاجة إلى تفسير العالم وفهمه من جهة، أو إلى إعادة تأويل وقراءة هذه العلاقة في سياقٍ واقعي مُغايرٍ تماماً من جهةٍ أخرى، أو حتى من باب المعرفة واشباع الفضول الفكري حول تاريخ الأفكار العقلانية ونشأتها وتحول الأنماط والأساليب الفكرية في تاريخ الإنسانية، ولعل هذا هو الهاجس الرئيسي الذي دفع بـ "جان بيير فرنان" إلى التفكير مُجدداً حول هذه العلاقة، من وجهة نظرٍ تاريخية وفلسفية اقتضتها طبيعة مجاله الأكاديمي والبحثي.

أما من حيث أهمية هذا الموضوع، فإن ما دفعنا إلى اختياره وحثنا على الاشتغال عليه، فاعتنا الفكرية في أن السؤال حول مفهوم الفلسفة، أصلها وما يُميّزها عن بقية الأنماط الفكرية الأخرى للتفكير الإنساني (الأسطوري مثلاً)، من المواضيع المفتوحة دوماً على المسألة البحثية والتي لا تقبلُ أي إجابة نهائية ومطلقة، وهذه خصيصة مميزة للفلسفة في أن تشغل على ذاتها حين يتطلب الأمر ذلك في كل مرة، كما نبه إلى ذلك "جبل دولوز" في كتابه "ماهي الفلسفة". أما ما تعلقَ بنموذج الدراسة، وهو الفيلسوف الفرنسي "جان بيير فرنان"، فذلك لأنه يُعيد استشكال هذه المسألة من جديد وفق آلياتٍ فكرية ومنهجية مُغايرة، أسهمت في فهم كيفية اكتشاف اللوغوس/العقل بوصفه نمطاً جديداً للفكر الإنساني داخل البيئة اليونانية التي كانت الأسطورة تقودُ فيها زمام المبادرة الفكرية، ثم يُعممُ المسألة لفهم كيفية نشوء العقلانية، تطورها ومآلاتها في الحضارة الغربية برمتها.

وتبعاً لهذا التأسيس؛ تُحاول هذه الدراسة البحث في الاشكال الفكري التالي: ما هي مظاهرُ مُجاوزة الفلسفة للأسطورة عند "جان بيير فرنان"؟ وما هي التحولات التاريخية والفكرية والسياسية التي شهدتها البيئة اليونانية والتي جعلت من انتصار العقل على اللا-عقل (الميثة) أمراً مُمكنًا حسب "فرنان"؟

وعلى ضوء هذا الاشكال، تتناسل العديد من التساؤلات الفرعية جاء على رأسها: ما تحليل "فرنان" للعلاقة بين الفلسفة والاسطورة؟ ما هي رؤيته لميلاد الفلسفة وأصلها؟ هل نشأتها كانت قطيعة جذرية مع النموذج الفكري الأسطوري أم استمرارية لها؟ ما الذي يُميز الفلسفة (العقلانية) عن الأسطورة من حيث الشكل والمضمون؟ وإلى أي مدى يُمكن أن نجعل من الأسطورة إشكالاً فلسفياً (عقلانياً)؟ كيف أسهم الفكر الوضعي للقرن السادس قبل الميلاد في نشأة العقلانية؟ وما هي الرابطة التي تجمع بين ميلاد المدينة (التنظيم السياسي polis) وميلاد العقلانية؟ وكيف أسهمت هذه العلاقة في تقويض الفكر الميثوبي؟

ومن أجل البحث في هذه الأسئلة، تحليلها وتفكيكها، فقد اعتمدنا على خطة منهجية، حاولنا من خلالها مقارنة الموضوع من ثلاثة جوانب: حيث قمنا أولاً بإجراء مقارنة بين التفكير الفلسفي والأسطوري. ثم تطرقنا ثانياً إلى التحول في نماذج الفهم والتفكير من الأسطوري إلى الوضعي العقلاني، أين تم اكتشاف اللوغوس لأول مرة في القرن السادس قبل الميلاد. وثالثاً وأخيراً، حاولنا الوقوف عند اللحظة الحاسمة والتحول الجذري للمجتمع اليوناني بانخراطه في تنظيم اجتماعي وسياسي جديد، هو المدينة polis، أين تزامن وضع أسس لنظام المدينة مع ميلاد العقلانية، بل إن هذه الأخيرة لم تكتمل في شكلها النهائي إلا على المستوى السياسي، كما يرى "جان بيير فرنان".

2. الأسطورة والفلسفة، في أوجه الاختلاف شكلاً ومضموناً

لعلهُ من باب التمشي المنهجي والمعرفي السليم، أنه قبل أن تناول المظاهر الأساسية التي تُعبر عن انتصار العقل، وهي النتيجة أو الخلاصة التي انتهت إليها المواجهة الصريحة بين الفلسفة والأسطورة حسب الفيلسوف الفرنسي "جان بيير فرنان"، علينا أن نتطرق أولاً إلى بعض النقاط التي يمتأز بها الفكر الفلسفي في هذه المرحلة (ق/ 6ق م) والتي شكلت منعطفاً حاسماً نحو التحول والانتقال من الميثية إلى العقل، وذلك لن يكون ممكناً إلا من خلال وضع هذا الفكر الوضعي/العقلاني بصفته نمطاً من الفكر الجديد في إطاره الثقافي والتاريخي.

وهو ما نبه إليه "جان بيير فرنان" في إجابته عن السؤال الأهم والمركزي، حول أصل وهوية الفلسفة، فيبينما يُشير الجزء الأول إلى ميلادها، فإن الجزء الثاني يتعلق بهويتها، وعموماً فإنه لا يمكن الحديث عن الجزء الأول بمعزلٍ عن الحديث عن الجزء الثاني، من أجل معرفتها ومعرفته ما تمتأز به مقارنةً بالأشكال الفكرية الأخرى غير الفلسفية كالتفكير الأسطوري، حيث يقول في هذا الصدد: "فلكي نعرف ما هي الفلسفة ينبغي أن نفحص ظروف ظهورها، ونتابع الحركة التاريخية التي تكونت بفضلها عندما طرحت في أفق الحضارة اليونانية مسائل جديدة، وأقامت الأدوات الذهنية الكفيلة لحل تلك المسائل، ففتحت بذلك مجالاً للتفكير، ورسمت فضاءً معرفياً لم يكن ليجد فيما قبل. وعند محاولة بناء شكل من المعقولية وإرساء نوع من الخطاب لم يكن معروفاً حتى ذلك الوقت، بزغت الممارسة الفلسفية وظهرت شخصية الفيلسوف" (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، الصفحات 679-680).

بدايةً، يُشير الباحث والفيلسوف الفرنسي "جان بيير فرنان"، إلى أن ظهور هذا النمط الفكري الجديد، كان في القرن 6 ق.م، في مدينة "ملطة" Milet، ويُعزى الفضل في ذلك إلى أعمال وأبحاث كل من "طاليس" Thalès

(نحو 624- نحو 546 ق.م)، "أناكسيماندر" Anaximandre (نحو 700 ق.م - نحو 200 ق.م)، و"أناكسيمانس" Anaximenes (نحو 588 - 525 ق.م). فأما من جهة تقارب توجُّههم الفكري وأبحاثهم الفلسفية أن شكلوا مدرسة واحدة عُرفت بـ "المدرسة الطبيعية" أو "مدرسة ملطية". وأما من حيث طبيعة هذا التوجه وهذه الأبحاث، والتي برزَ فيها العقلُ لأول مرة على مسرح الأحداث والتاريخ، أن ذهبَ البعضُ من المفكرين والمؤرخين إلى وصفها بـ "المعجزة اليونانية"، التي كانت منذ تلك اللحظة الحاسمة منعطفاً لإنارة دروب ومسالك المعرفة الإنسانية (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، صفحة 680).

لذلك، فلا غرابة، أن يفتح فيلسوف إرادة الحياة "نيتشه" خطابه حول الفلسفة في العصر اليوناني، بالإشادة لما أنجزه "طاليس" وقدمه من رؤية جديدة خالف بها ما كان سائداً في عصره، ففي ظل هذا الوضع، الذي تميز بتفسير كل الحوادث الطبيعية والاجتماعية تفسيراً خرافياً واسطورياً "يبرز طاليس كمعلم مبدع بدأ بثبر غور الطبيعة دون الاستعانة بالروايات الخيالية" (نيتشه، 1983، صفحة 49). ويواصل هذا الفيلسوف الفذ، إشادته بـ "طاليس"، مبرراً ذلك، أنه مثّل لحظة فارقة في زمانه، لجهة أنه تلمص من نموذج الفهم الخرافي، بعد تهفيت أسسه وتقويض دعائمه، مُعلنًا بجرأة وشجاعة أن "الكلُّ واحد"، وأن هذا الواحد هو "الماء". وهي فكرة جديدة، يجب -حسب "نيتشه"- أخذها على محمل الجد، لثلاث أسباب: فهي تتناول السؤال الفلسفي حول أصل الأشياء، ولأنها تُرجع الأشياء جميعاً إلى عنصرٍ واحدٍ، ثم لأنه قام بعرضها بعيداً عن أي تفسير يُمكن أن يُمثّل بالصلة إلى الخرافة والأسطورة، وفق مرجعيته العلمية والفلكية (نيتشه، 1983، الصفحات 46-48).

وعطفاً عما قلناه أعلاه، أنه لكي نعي حقيقة وعمق هذا التحول من الفكر الميثوبي إلى الفكر العقلاني، وأن نُقدر الجهود الفلسفية التي بذلها أصحابها ها هنا، في سبيل تحقيق هذا الانتقال، أن نضعها في السياق التاريخي والثقافي للحضارة الإغريقية. ولعله مما تُسحّن الإشارة إليه في هذا الصدد، أن هذه الأخيرة -الحضارة اليونانية- تنتهض على المشافهة والاصغاء لا على الإختطاط والتدوين، وهي إحدى أهم الصعوبات التي اعترضت سبيل الأبحاث الفلسفية في هذه الفترة. فمن الغني عن البيان، أن المشافهة والاصغاء كانت هي الآلية الفكرية في نقل المعلومات والأفكار والمعارف من جيل إلى آخر، والتي تجسدت في نماذج الحكايات الماثورة والمقاطع الملحمية والموسيقية والأناشيد الشعرية، والتي تُشكل جميعاً "ذاكرة جماعية" ومخزوناً ثقافياً وتاريخياً مشتركاً، يحتوي على كل الإجابات عن الأسئلة الثقافية والتاريخية التي يحتاجها الفرد اليوناني في بحثه عن تاريخه، أمجاده وبطولاته، وعن الآلهة وأنسابها، وعن العالم (الكون) وأصوله (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، الصفحات 682-683). وأما ما يُحسب مكسباً جديداً في أبحاث المالطيين هنا، فقد تمثلت في خاصية الكتابة والتدوين، فخلافاً لما كان سائداً حينها لم يعمل هؤلاء الفلاسفة في تقديم نظرياتهم الفكرية في شاكلة مقاطع موسيقية وملحمية وشعرية وإنما تمّ عرضها في خطابات مكتوبة، لا تُعبر في جوهرها عن حكاية أو رواية أو قصة بل نظرية تفسيرية للطبيعة وظواهرها بشكلٍ متماسكٍ ومتربطٍ منطقياً. وقد كان من نتائج ذلك، أن تم تحقيق الانتقال من المشافهة إلى الكتابة، ومن الخطابات الشعرية إلى النصوص النثرية، ومن أسلوب الحكاية والسرد إلى نهج الفهم والتفسير، وهو ما عبّر

فعلياً عن حقيقة الانتقال من الفكر الميثوبي إلى الفكر العقلاني (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، صفحة 683).

وزيادةً على ذلك، فهذه الخاصية الجديدة في الاختطاط والكتابة التي انتهجها فلاسفة مالطة عوض المشافهة والاصغاء، كأنَّ لها أثرها البالغ على مستوى الواقع الاجتماعي والسياسي من جهة، وعلى الصعيد الإنساني من جهةٍ أخرى. فهي إضافةً إلى كونها تُحافظُ على الموروث الفكري والمعرفي في نصوصٍ مكتوبةٍ وتأمينها من كل تأويلٍ فاسدٍ أو تحريفٍ مُشوِّهٍ لها أو إضافاتٍ من شأنها الإخلالُ بمعناها الأول إلى الأجيال القادمة، مثلما كان يحدثُ سابقاً من خلال الاعتماد في نقلها عبر آلية الكلام والاصغاء دون التحقق من مصداقيتها. فهي أيضاً - الكتابة - تجعلُ من إمكانيةِ تدوينِ القوانين أمراً مُمكنًا، ثم الحفاظُ عليها وتأمينها من كل استغلالٍ أو تحريفٍ لغاياتها ومقاصدها الرئيسية من قبل السُلطة (مهما كان شكلها ونوعها). وهكذا تغدو هذه النصوص المكتوبة بمثابة قاعدة عامة ومشتركة ومُتاحة للجميع، ومن ثمة العودة إليها والنقاشُ حولها من طرف الجميع (فرنان، أصول الفكر اليوناني، 1987، صفحة 44). وقد كانَّ من توابع ذلك، أن تم اخراجُ تشكيل القوانين من خندقها الضيق، أين كان هذا الحق امتيازاً لفئةٍ دون أخرى (السلطة السياسية والدينية، الملك...)، إلى الساحة العمومية حيث تُعرضُ أمام الجميع، وأين يكون لكل واحد من الجماعة الحقُّ في مناقشتها وتعديلها وتغييرها قبل الانتهاء إلى تفاهمٍ واتفاقٍ عقلاني يُعبر عن رأي الجماعة دون تمييز أو تصنيف، وهكذا يحصلُ وفقاً لهذا الصعيد انتقالٌ آخر من السرد إلى المناقشة، وهو ما أتاحتها المدينة اليونانية في بعدها العقلاني والسياسي (فرنان، أصول الفكر اليوناني، 1987، صفحة 45).

وفضلاً عما سبق، فهذا التغيُّر الحاسم الذي طرأ على مستوى الفكر في القرن 6 ق.م -الشاهدُ على الانتقالِ من الميئة إلى العقل-، لم يكن على مستوى الكتابة والتدوين فقط، بل لقد تجلّى على مستوى اللغة أيضاً. حيثُ يمكنُ القول دون أدنى مُجازفةٍ أنَّ الفكر قد عبَّر عن ذاته بمعجمٍ لغويٍّ خاص يعكسُ طبيعة وحجم التحولات الفكرية لهذه المرحلة في جميع أبعادها ومستوياتها؛ مُعجمٌ لغويٌّ مُشكَّلٌ من مفاهيم وضعيّة مُجرّدة من كلّ ما هو خُرافي وأسطوري، فلم يعد الفكر يُعبر بواسطة ملفوظات من قبيل الآلهة وأنصافها والملك والقوى الماورائية، وقد تمَّ إحلالُ مكانها مفاهيم مجردة كالماء والهواء واللامحدود، وهي التي غدت قانوناً ونظاماً كونياً بمقتضاها يتمُّ تفسيرُ الطبيعة ومظاهرها المتعددة (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، صفحة 685).

علماً أنَّ هذا التغيُّر الذي طرأ على مستوى اللغة، لم يبقَ مُقتصرًا على الشأن الطبيعي فقط، وإنما تعداهُ إلى المجال السياسي أيضاً، حيثُ تخلصَ هذا الأخير من التعابير اللغوية التي كانت سائدة ومهيمنة في زمنِ الأسطورة. فبالانتقال إلى نمطٍ جديدٍ من الفكر القائم في هويته وجوهره على النقاش والمُحاجة العقلانية، لم يعد للألقاب والرتب أيُّ فائدة أو معنى، سوى في كونها تعبيرٌ عن مرحلةٍ سابقةٍ تجاوزها العقل الآن، مُعلنًا بذلك عن ميلادِ فكرٍ جديدٍ يؤسُسُ للرأي المتّزن والرؤية العقلانية الصائبة والمُشتركة جماعياً، أخلاقياً وسياسياً، أي الحكمة الإنسانية في تجلياتها المختلفة. وقد كان من أهم نتائج ذلك، أن أُعيدَ طرحُ في الساحة العمومية للمدينة اليونانية، الأسئلة حول

السلطة السياسيّة في مفهومها وأشكالها ووظائفها، بلغةٍ جديدةٍ، عقلانيّةٍ وليست أسطوريّةٍ (فرنان، أصول الفكر اليوناني، 1987، الصفحات 32-33).

إضافةً إلى ما سبق الحديث فيه، هناك أيضاً مسألة في غاية الأهميّة يتوجب علينا الإشارة إليها، وهي "الدهشة الفلسفيّة" في مُقابل "العجيب الأسطوري"، وتمكّن أهميّة هذه المسألة في كونها تدلّ على حجم الانقلاب الفكري من الأسطوري إلى الفلسفي. فمن الغني عن البيان، أن لا مصدر آخر للفلسفة غير الدهشة، وهو الأمر المتعارف عليه على أوسع نطاق لدى مختلف الفلاسفة بتنوع مرجعياتهم وتعدد توجهاتهم وسياقاتهم الفكرية. وحتى عند الملطيين - كما نبه إلى ذلك فيلسوفنا - فالأمر لا يُشكّل استثناءً، ذلك أن الدهشة هي من مثلت الدافع لميلاد تأملاتهم الفلسفيّة، لكن كيف كانت الدهشة سبيلاً إلى التفلسف العقلائي وليس العجيب مثلما كان عليه الحال مع الأسطورة؟ وحول هذه الموضوعية الفكرية، يُقيم "جان ببيير فرنان" مقارنة بين الدهشة والعجيب، مُوضحاً أن الفكر الأسطوري يقوم على هذا "العجيب/طوما Thoma". ونظراً لما يجلبه هذا المفهوم المركزي في الفكر الأسطوري في ارتباطه بعناصر خارقة للطبيعة من رعبٍ وتعجبٍ وخوفٍ، سيكون له القدرة اللازمة على تفسير كل الظواهر الخارجة عن المألوف الطبيعيّ والإنساني من جهة، ولكنه يغدو مقبولاً في سياق البنية الأسطوريّة (القصة، الخرافة، الحكاية الشعبية) حين يُقدّم إلى المتلقّي له، من جهةٍ أخرى. أما الدهشة فخلافاً لذلك، فهي تُعبّر عن إشكالٍ صريحٍ لغرابية ظاهرة من الظواهر، فعوضاً أن تبعث في الذهن صيغة تعجبٍ ورعبٍ كانت تُثير حولها استفهامات وتساؤلات تدفع بالوعي (الفكر) إلى أقصى إمكانياته وحدوده في ضرورة إيجاد إجاباتٍ منطقيّة لها. وهكذا تمّ تحقيق الانتقال من العجيب الأسطوري إلى الدهشة الفلسفيّة، أي من التلقي الصامت لها إلى الاستفهام والتساؤل حولها (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، الصفحات 686-687).

وبالمحصلة، فإن الفكر الفلسفيّ يختلف شكلاً ومضموناً عن الفكر الأسطوري، سواء من حيث مصدره (الدهشة/العجيب)، أو من حيث معجمه اللغوي (ألفاظ مجردة/قوى خفية)، أو حتى في كيفية التعامل مع الظواهر الطبيعيّة والأحداث الاجتماعية (الاستفهام والتساؤل/ الايمان المطلق والتلقي الساذج)، وحتى في البحث عن أصلها (الدائم والثابت: هو هو/ المتغير والمتحرك وفق سلالةٍ نسبيّةٍ للآلهة). أمّا مظاهر انتصار العقل ومُجاوزته للميثيّة، فقد تحدت معالمه في نقطتين أساسيتين: أولاً- ظهور فكر وضعيّ متحرر كليّةً مما هو خرافي وأسطوري. وثانياً: الدخول في تنظيم اجتماعي وسياسي جديد هو المدينة Polis، أين أصبح النقاش العقلائي هو جوهر العملية الاجتماعية والسياسيّة والمُحكم الرئيسي في زمام قواعدها (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، صفحة 675). وهو ما سنأتي إلى تفصيله فيما هو قادم من هذا البحث.

3. اكتشاف اللوغوس وتكوين الفكر الوضعي، نحو الاعتناق من الفكر الميثوبي

لعل من بين أهم مظاهر بداية اعتناق العقل وتخلّصه من شوائب الميثيّة، هو تكوين الفكر الوضعي، ويعود تشكل هذا الفكر إلى القرن السادس قبل الميلاد في المدينة اليونانية وتحديداً في "المدرسة المالطية" Ecole de Milet، حيث ظهر شكلٌ جديدٌ من الفكر، يُشير في حقيقة الأمر على بداية وميلاد الفلسفة ذاتها، أي اكتشاف

"العقل/اللوجوس" «Logos»، الذي يظهر ولأول مرة، مُتحرراً من ثوب الأسطورة. وربما هذا هو السبب الحقيقي الذي دفع ببعض المفكرين إلى اعتبار أن الفلسفة "معجزة يونانية خالصة"، فذلك لما تميز به الفرد اليوناني هَاهُنَا من صفاتٍ استثنائيةٍ للغاية تمثلت في "روح الملاحظة مجتمعة مع قُدرة الاستدلال" كما نبه إلى ذلك "جان بيير فرنان" (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، الصفحات 633-634).

وفي هذا الصدد، يُمكننا الإشارة إلى المنعطف الفكري الحاسم في براديغم التفكير وطرائق التفسير وآليات الفهم حول الطبيعة وظواهرها المتعددة، والذي دشنته فلاسفة المدرسة الطبيعية من أمثال "طاليس"، "أناكسيمندر" و"أناكسيمانس"، ولئن كان هذا المنعطف يُؤشِّر على دلالة تأويلية واحدة وهي بدايات نمط فكرٍ جديدٍ يمتاز بدرجة عالية من التنظيم والعقلانية، فإنه يدلُّ من جهةٍ أخرى على انطفاء الفكر الأسطوري وأفوله (فرنان، أصول الفكر اليوناني، 1987، صفحة 91). إذ مع قُدوم هؤلاء تمَّ اقتراح تفسيرٍ جديدٍ لأصل الوجود (العالم) وظواهره المناخية، وقد كان من جدته وعمقه أن أقامَ قطيعةً معرفيةً مع النموذج الفكري الذي كان سائداً حينها، ففي زمن سيادة الأسطورة وتربعها على عرش الفكر، كان النقاش حول أصل الوجود وطبيعته ومظاهره يُرجعها جميعاً إلى قوى فوق الطبيعية، الآلهة وأنصافها، في قالبٍ خيالي يسردُ لنا قصة؛ مغامرة وصراع هذه القوى في ارتباطها مع انبثاق الكون ونشأته (فرنان، أصول الفكر اليوناني، 1987، صفحة 91).

أما مع بروز هذا النمط الجديد من الفكر الوضعي العقلاني، فقد تمَّ التخلص من هذه القوى الخارقة للطبيعة، وقد كان من توابع ونتائج ذلك، القول بأن ما يحدث في الطبيعة لا يمكن تفسيره إلا بعنصرٍ طبيعي من جنسها، لا بردها إلى عناصر خارقة عنها. وعلى الرغم من أنَّ هذا التفكير الوضعي العقلاني -الذي يصفه "جان بيير فرنان" بمثابة ثورة فكرية مفاجئة وعميقة- قد قُوبل في بداياته الأولى بنوعٍ من الشك والتردد في مدى قدرته التفسيرية، إلا أنه أتاح للعلم (العقل) بعدها إمكانية التخلص التدريجي من الخرافة، وهم بهذا الصنيع -أي فلاسفة المدرسة الطبيعية- قد قاموا بفتح دربٍ ومسلكٍ لمن جاء بعدهم، بحيث لم يعد أمامهم سوى مواصلة السير على خطاهم ونهجهم في إنارة الفكر الإنساني (فرنان، أصول الفكر اليوناني، 1987، الصفحات 91-92).

وبالعودة للحديث عن موضوع "أصل الوجود وطبيعته"، وهي الموضوعة الفكرية الرئيسة التي كانت محل نقاشٍ واسعٍ حينها، وحيث كان تفسيرها يخضع إلى الخرافة والأسطورة، بإرجاعها إلى الآلهة وانصافها (الملك والقوى الخارقة للطبيعة) كما أسلفنا القول سابقاً. فقد ظهر إلى السطح -حول هذه الموضوعة بالذات- فكرٌ وتفسيرٌ وضعي أعلن بشكلٍ رسمي عن ميلاد عقلٍ شبه علماني، مثمناً وصفته الفيلسوفة "جاكلين روز" في حديثها عن مغامرة الفكر في مدينة إيونيا، فقد اتجه فلاسفتُها إلى تفسير الكون برده إلى "مبدأ وحيد"، إما الماء مثلاً ذهب إلى ذلك "طاليس"، أو اللامتناهي (أناكسيمندر) أو الهواء (أناكسيمانس). وهكذا بعدما تمَّ اكتشاف اللوجوس، نكون ولأول مرة أمام نمطٍ من التفسير الإيجابي المتّظم والمنطقي للواقع والنابع من العقل، وهو الأمر الذي مهد للكوزمولوجيا اليونانية السير بخطى ثابتة في طريق العقلانية (روز، 2011، صفحة 45).

وفعلاً، فمع فلاسفة المدرسة الطبيعية (طاليس، أناكسيمندر، أناكسيمانس، وحتى هيرقليدس) تمّ الفصل بين الوظيفة الملكية والنظام الكوني، فالعناصر الأولى ليست شخصيات أسطورية مثل ما هو الحال في الأسطورة، بل عناصر طبيعية (الماء، الهواء، اللامحدود/اللامتناهي) من خلالها يتم تفسير الظواهر الطبيعية، كما أنها لم تعد أموراً مقدسة لا يُطالها النقاش حولها، بل غدت بعد أن تمّ نزح غطاء القداسة عليها - موضوعاً قابلاً للحوار والنقد والمحااجة العقلانية. وقد تمخض عن هذه المستجدات الفكرية، أن احتلّ الفيلسوف صاحب الرؤية العقلانية للأمور والأشياء مكان الملك-الساحر (في امتلاكه لقوى غير عادية)، وهو ما نبه إلى ذلك "جان بيير فرنان" (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، الصفحات 642-643).

ولعلّ من باب أن يتسنى لنا الفهم الجيد لحقيقة وعمق هذا التحول الذي طرأ على الفكر اليوناني في هذه المرحلة الحاسمة له والتي مكنته من مجاوزة الأسطورة وتحقيق الانتصار للعقل، يُمكن الإشارة إلى ملاحظة أساسية، وهي أنّه في التقليد الفكري اليوناني في زمن الميثة لم يكن هناك فصل بين (الإنسان) المجتمع والطبيعة، فكلّهما يخضع إلى قوى كونية. إذ إنّ الرؤية التي امتلكت زمام المبادرة والقيادة هاهنا كانت ترى في الإنسان كمكون رئيسي للمجتمع، وهذا الأخير كعنصر ينتمي إلى الطبيعة، ولما كانت هذه الرؤية لا ترى في وجود تمايز بين الإنسان (المجتمع) والطبيعة، أي بين ما يحدث على الصعيد الاجتماعي وعلى الصعيد الطبيعي من خبرات وتجارب، فإنّه لم تكن هناك حاجة معرفية تلزم فهم أحدهما وتفسيره بمعزل عن الآخر على نحو مغاير تماماً، فجميعها يُشكّل أحداثاً كونية، ولما ثبت ذلك فإنها (الأحداث الانسانية والطبيعية) تخضع إلى تفسير واحدٍ ووحيد بإرجاع ما يُجرى فيها إلى قوى ما فوق طبيعية (ه. فراكفورت، 1980، الصفحات 14-15).

من جهةٍ، ولأنّ وجه فلاسفة المدرسة الطبيعية (مالطة) جهدهم الفكري نحو مشكلة الأصل والتكوين، إلا أنّ هذه المشكلة قد حُظيت لديهم بصبغة جديدة، مثّلت فيها رغبتهم الجامحة وسعيهم الدؤوب إلى إيجاد أساس أبدي لتفسير الطبيعة وفهمها بعيداً عن النموذج الأسطوري، هو السبب الأول الذي يقف خلف هذه الرغبة وذاك السعي. ويبقى الدليل الأقوى على ذلك، أنهم وفي انهماهم بمشكلة "الأصل"، قد جردوه نهائياً من ثوبه الأسطوري؛ أين لم يعد الأصل هنا يُفهم على أنه قوى أولى مفارقة لما هو طبيعي (الآلهة والملك وغيرها) وبصفته مجرد بداية أو حالة أولى لحالات أخرى لاحقة، بل لقد غدى هذا الأصل هو المبدأ والجوهر الأبدي أو السبب الأول وهو ما تعنيه وتُعبّر عنه تحديداً ملفوظة "الأصل" في المعجم اللغوي اليوناني (ه. فراكفورت، 1980، صفحة 278).

بيدّ أنه من جهةٍ أخرى، لئن كان البحث عن "الأصل" أو "المبدأ الأول" يتحدّد في الأسطورة من خلال "شجرة نسبية" (الأب، الأم والولادات المتتابعة)، فإن الفلسفة الطبيعية بدل أن تسردّ الولادات المتتابعة قامت بتحديد المبادئ الأولية، أين أصبح البحث جارياً عن الثابت والدائم وهو، وراء التغير والصيرورة والحركة، وهو الأمر الذي فتح باب النقاش والجدل واسعاً بين الفلاسفة لتحديد هذا المبدأ الأول الثابت بمعزل عن أيّ تفكير أسطوري من أجل إيجاد تماسك مفهوم منطقي في عالم الظواهر، وقد مكّن كل ذلك، وفي الآن نفسه، من إقامة مراجعة نقدية لمفهوم

الطبيعة في حد ذاتها من أجل تجريدتها بشكلٍ تدريجيٍّ ومرحليٍّ من كل ما لا يزال ينتسبُ إلى الميثة سواءً من حيث الألفاظ المستخدمة أو من حيث المضمون (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، الصفحات 645-646). ولعلهُ مما تجدرُ الإشارة إليه في هذا السياق، أن سحر الأسطورة لم يُقَضَّ عليه تماماً في هذه المرحلة، فـ "طاليس" مثلاً حتى وإن كان يقول "أن الماء هو المبدأ والسبب الأول في كل شيء"، لكنه كان يُردّد في المقابل قائلاً: "كل الأشياء مَلاى بالآلهة"، بيد أنه لا ينبغي فهمُ خطابه هذا على أنه أستمراٌز للفكر الميثوبي وامتدادٌ له، ونجدُ حُجَّتنا في ذلك أن "طاليس" تحدث عن "الماء وليس عن إله-الماء"، وهو الأمر ذاته ينطبقُ على "أنأكسيمنس" الذي تحدث عن "الهواء" بصفته المبدأ الأول وليس عن "إله-الهواء أو العواصف". وكلّ ذلك راجعٌ إلى الغاية الأسمى التي يرنوا إليها "طاليس" وبقية زملائه من المدرسة الطبيعية، في البحث عن تماسكٍ منطقي بين الأشياء جميعاً يكونُ مقبول عقلاً من جهة، وكذلك تبيانُ الكيفية التي يشتغلُ عليها "المبدأ المديم" من جهةٍ أخرى، وهنا مكنم الجِدَّة والأصالة التي جلبها هؤلاء الفلاسفة (ه.فراكفورت، 1980، صفحة 280).

وفي هذا السياق بالذات، فإن ما أردنا تحديد بدقة أوجه الجِدَّة والأصالة التي تميزت به هذه المرحلة (الوضعية/العقلانية) مقارنةً بما سبقها (الأسطورية)، لأمكن الإشارةُ إلى خاصيتين أساسيتين، تمّ من خلالهما مُجاوزة الفكر الخرافي الأسطوري، وهما؛ أولاً: في تجاهلِ فلاسفة المدرسة الطبيعية ما تميّز به الفكر الميثوبي من تعظيمٍ وقداسةٍ، بجرأةٍ وشجاعةٍ لا مثيلَ لها. وثانياً: الترابطُ المنطقي الذي صَبَغَ منظومتهم الفكرية والفلسفية، على نحوٍ يُقيّم الميَز والفصل والاستقلالية التامة بين فكرهم النظري المجرد وبين الفكر الأسطوري الذي سبقهم (ه.فراكفورت، 1980، صفحة 281).

وتأسيساً على ما سبق الحديث فيه، يُمكن القول دون أدنى مُجازفة مع "جان بيبير فرنان"، أن اكتشاف العقل وميلاده قد تزامن مع مظهرين أساسيين، هما؛ أولاً: ظهور فكرٍ وضعي يتناقض مُطلقاً مع نموذج الخوارق (المفاروق) لكل ما هو طبيعي والذي كانت تُقدِّمه الأسطورة في زمانها، من جهة. وثانياً: ظهور فكرٍ نظري منظم قام بالقضاء نهائياً على التغيّر الناتج من صراع الأضداد مؤسساً بذلك للوحدة المنطقية المتمثلة في "مبدأ الهوية" (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، صفحة 649).

4. المدينة وميلاد العقلانية، نحو انفصال التنظيم الاجتماعي عن التنظيم الكوني

من المظاهر الرئيسية لاتعتاق الفلسفة عن التفكير الأسطوري، الدخول في تنظيم اجتماعي وسياسي جديد، وهو "المدينة" «Polis». حتى أن الفيلسوف الفرنسي "جان بيار فرنان" يذهب إلى أقصى من ذلك، حين يرى أن العقل عند اليونان، لم يكتمل إلا على "المستوى السياسي"، الذي أسهم عظيم الاسهام في فتح آفاق النقاش والجدال العمومي داخل أروقة المدينة حول كل القضايا التي تهَم الشأن العام الاجتماعي، وهنا بدأ تهميش وتغييب التفكير الأسطوري وطرده خارجاً. فالمناقشة العامة المتمركزة على الحجة أتاح للتجربة الاجتماعية من أن تغدوا موضوعاً للتفكير الوضعي من جهة. وزيادةً على ذلك، بعد أن أصبح النظام السياسي موضوعاً للمساءلة والمناقشة، جعل منه (النظام السياسي) مجالاً معرفياً مُستقلاً، له منطقُهُ العقلاني وأدواتُهُ المفاهيمية المجردة وتحليلاته النظرية الخاصة،

بعيداً وبمعزلٍ عن التفسيرات الخرافية، من جهةٍ أخرى. وهكذا نلاحظ، أن العقلانية وعبر هذه التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الواقع، مكنت من التعبير عن ذاتها ومفاهيمها الخاصة على نحوٍ مُفصل تماماً عن الرؤية الأسطورية والخرافية التي كانت سائدة (فرنان، أصول الفكر اليوناني، 1987، صفحة 118).

ولذلك، فليس غريباً أن يتزامن ميلادُ العقلانية مع ميلاد المواطن، في سياق التحولات العميقة التي عرفها المجتمع اليوناني، وبروز المدينة كفضاء سياسي وتنظيمي جديد تُدارُ بالنقاش العام. وقد كان لهذه التحولات أثرها العميق أن تحقق الفصل بين الطبيعة والمجتمع، بعد أن كانا يُمثَلان موضوعاً واحدةً يخضعان للتنظيم الكوني على حدٍ سواء؛ أي ما يجرى على واحدةٍ (الطبيعة) من نواميس وقوانين كونية يُجرى على الأخرى (المجتمع) بالضرورة الحتمية، وهذا حسب التفسير الأسطوري. وهكذا، وبعد أن تحقق هذا الفصل، لم يعد التنظيم السياسي يُفهم بوصفه انعكاساً للتنظيم الكوني، بل بوصفه بناءً بشرياً يخضع لإرادة المواطنين وحكمهم، من خلال المناقشة والمحااجة العقلانية لا بصفتها قوانين كونية مفروضة من قوى ما فوق-اجتماعية، وهو الأمر الذي جعل من إمكانية قيام تفكير عقلائي حول القضايا السياسية والعدالة والحرية والتنظيم البشري، أمراً مُمكناً (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، صفحة 662).

وفي خضم ذلك، لم تكن الفلسفة معزولة عما يجري من أحداث اجتماعية وسياسية، وبحكم طبيعتها النقدية والتوجيهية والمفاهيمية، كان لها القدرة العقلانية والحكمة اللازمة لإعادة الانسجام المفقود إلى المدينة، بعد الخلل والتمزق الذي أحدثه الصراع الناتج عن الاقتصاد التجاري الناشئ حينها. وعليه، يُمكن القول، دون مُجازفةٍ، أن الفيلسوف لم يتخذ موقفاً نظرياً فقط، من خلال الاكتفاء بمراقبة الأحداث من علّواء السماء في برج العاجي، بل كان مُنخرطاً في الأحداث الاجتماعية والوقائع السياسية مُتفاعلاً معها بروح عقلانية رزينة وبحكمة فذة، أرجعت الاستقرار والوحدة إلى المدينة. وهو ما يجعلنا نؤكد مرةً أخرى، على أن ميلاد العقلانية لم يكن في معزلٍ عن السياق الاجتماعي اليوناني، بل كانت استجابة لضرورة اجتماعية وسياسية وتاريخية مُلحة (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، صفحة 662).

ومن جهته أيضاً، يؤكد "جان بيير فرنان"، على العلاقة العضوية بين تكوّن الفلسفة ونشأة المدينة، مُنبهاً على أن أصول العقلانية تجد جذورها الأولى في البنى السياسية للمدينة، كما هو الحال في مدينة "ميلته" Milet حيث كان ميلادُ الفلسفة لأول مرة، وأين استمدت في بداياتها وخطواتها الأولى بعض مفاهيمها من الشبكة المفاهيمية التي ينتظم حولها الفكر السياسي والتي من خلالها كان يُعبر عن اهتماماته وتوجهاته الخاصة، قبل أن تُعلن استقلالها الذاتي من خلال تأسيس معجمها اللغوي والمفاهيمي وتتمكن من صياغة منطقها التحليلي العقلائي الخاص. وتبعاً لهذا القول، ينتهي الفيلسوف الفرنسي "فرنان" إلى نتيجة مفادها؛ أن العقلانية هي نتاجُ المدينة، ويعني ذلك -في جُملة ما يعنيه- أنها (العقلانية) متأثرة بحدودها (المدينة) مثلما هي مفتوحة على إمكانيات تجديدها، وذلك دليل على الصلة الوثيقة التي تجمع بين "العقلانية" و"المدينة" (فرنان، أصول الفكر اليوناني، 1987، الصفحات 117-119).

ولعل ما يُعزِّزُ هذه القناعة الفكرية، في القول بالرابطة المتينة بين العقلانية والمدينة، هو دور الفيلسوف في المجتمع اليوناني في بدايات التشريع ومُشاركته الفعالة في وضع الدساتير في نماذجها الأولى مع الحكماء الأوائل، وقد مكن له هذا الدور (الفيلسوف) من أن يحلَّ محلَّ الملك في تأديته لوظائفه حين كان يحتكرُ هذه السُلطة بشكلٍ ذاتي ومطلق في زمن الجُمع بين الطبيعة والمجتمع. لذلك ما فتئ "جان بيير فرنان" الإشارة إلى أن هذا التحول في نماذج الفهم والتفكير من الأسطوري إلى العقلاني، لم يُقتصر فقط على المستوى الكوسمولوجي، بل توسعت دائرته لتشملَ المجتمع والطبيعة بالتساوي، ولكن كظاهرتين منفصلتين، حيثُ أصبحا كُلٌّ حسب مجاله، موضوعاً للرؤية العقلانية وللدراسة الموضوعية بمعزلٍ عن القوى الفوقية، وهو الأمر الذي يعكسُ النهج الذي سار عليه اليونانيون في عقلنة الواقع الاجتماعي والسياسي وجعله إنسانياً وعقلانياً محضاً، مثلاً جعلوا من التفكير في الطبيعة وظواهرها المتنوعة أمراً طبيعياً يخضع إلى المساواة والمناقشة العقلانية (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، صفحة 662).

وتبعاً لهذا التأسيس؛ يحقُّ لنا القول، أنه لو أردنا تحديد لحظة التحول الجذري في الفكر اليوناني من البنية الأسطورية إلى البنية العقلانية، لأمكننا الإشارةُ إلى المنعرج التاريخي الحاسم في القرن السادس قبل الميلاد، الذي يتزامن مع نشوء المدينة (polis). فقد أدى تأسيسُ المدينة بوصفها نظام اجتماعي وسياسي جديد، إلى علمنة الفكر السياسي، مما مهّد الطريق إلى ميلاد الفلسفة كتفكيرٍ عقلاني مستقل عن النموذج الخرافي الذي كان سائداً حينها، كما أمكن للمجتمع اليوناني، بفضل ذلك، التميّزُ عن المجتمعات الأخرى، البربرية على وجه التحديد، وذلك بانخراطه في مجتمع مدني متحضّر يقوم على النقاش والحوار والحجة الأقوى، من جهة. فضلاً عن ذلك، فهذا التحول الجذري الذي شهدهُ الواقع اليوناني، انعكس أيضاً على طبيعة ممارسة الحكم والسُلطة الاجتماعية والسياسية، حيث تم الانتقالُ من الحكم الفردي للملك وسلطته المطلقة إلى نظام المشاركة الجماعية بين المواطنين، بشكل علني ومُتساوٍ، في فضاء عام، عُرِفَ بـ "الأغورا" (Agora)، أين أصبح تكوين الرأي العام نتيجةً للنقاش والحوار العقلاني حول القضايا العامة التي تهمُّ الصالح العام للمدينة، من جهةٍ أخرى (فرنان، أصول الفكر اليوناني، 1987، صفحة 7).

ولعل مما تجدرُ الإشارة إليه، في هذا السياق، إلى الوسائل والأدوات التي باتتُ يستخدمها الفيلسوف، في المخاطبة والجدل والحوار، إذ تم التخلُّصُ ها هنا، من الأدوات السابقة التي كان يستخدمها الملكُ تعبيراً عن سُلطته المطلقة في فرض الأوامر والقرارات من غير أن تكون عرضة للنقاش، الدحض أو الرفض، وتم تعويضها بـ "الكلام" و"الكتابة"، ومن خلالهما أصبح التواصل بين كل المواطنين وتعبيراً عن رؤاهم المتعددة في الساحة العامة "الأغورا" (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، صفحة 660). ولما أصبح الأمرُ على هذه الشاكلة، -أي أن لجميع الحق في التعبير عن رأيه الخاص ودون خوفٍ من أي سُلطة سياسية أو دينية أو اجتماعية، وفي أي موضوعٍ حتى ولئن كان إلى وقتٍ قريبٍ يحملُ طابعَ القداسة-، غدت هذه الآراءُ مُجمعةً هي الموضوعُ الرئيسي للنقاش والمجادلة، أين يتفاعلُ معها الجميع، بتبادل الحجج حولها، نقدها، رفضها أو قبولها، من أجل الوصولِ إلى

رأي يُعبر عن اتفاقٍ عقلائي مشترك. وهكذا يُصبح "اللوغوس/العقل" ما هو مُشتركٌ وكوني بين الجميع، والمعيار الأساسي الذي يستند عليه الجميع في تقرير ما هو صالح أو فاسد، صائب أو خاطئ. وعليه فمثلاً ينمُّ الاستناد إلى القانون في تنظيم المدينة وشؤونها، فإنه على الجماعة الاستناد إلى اللوغوس أثناء النقاش فيما هو صالح للمدينة، وهكذا تمَّ إحداثُ قطيعةٍ مع النموذج الأسطوري السابق، أين قامت العقلانية بمجاوزته والانتصار عليه، وغدى هذا الانتصار تعبيراً عن الميزة الرئيسة للمدينة اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد (فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، 2012، صفحة 661).

وعلى ضوء ما تقدم، يُمكن القول، أنه بالانتقال من براديغم فكري معين (الأسطوري) إلى براديغم فكري جديد (سياسي واجتماعي)، أن تتغير نماذج الفهم ومقولات التفكير، وقد كان من توابع ونتائج هذا الانتقال أن فقد البراديغم القديم كل قيمته ومعانيه وتأثيراته السحرية، وغدى شيئاً من الماضي، كما كان من النتائج الأساسية أن تحقق الفصل بين الطبيعة والمجتمع أي عن النظام الكوني، فقضايا المجتمع لم تعد مربوطةً بالتنظيم الكوني مثل ما كان عليه الحال مع التفكير الأسطوري بل أصبحت مرهونة بالنقاش والجدال حولها من أجل الانتهاء إلى حلول وتفسيرات عقلانية على نحوٍ يضمن تحقيق الوحدة والانسجام داخل المدينة بين مختلف الأطراف المتنازعة والمتصارعة.

5. خاتمة:

على ضوء ما تقدم، يُمكن الانتهاء إلى جملةٍ من النتائج نذكرها كالتالي:

1- يرى "جان بيير فرنان" من خلال قيامه بمقارنة بين الفلسفة والأسطورة، أن كل واحدةٍ تمتاز عن الأخرى بأدواتها المفاهيمية وأساليبها المنهجية الخاصة. فالأسطورة تتخذ من مفردات الآلهة والأبطال وأنصافها معجماً لغوياً لها، كما تتخذ من السرد للأحاديث والأقوال والقصص حول نشأة الوجود وفهم طبيعته منهجاً خاصاً بها. في حين تتقدم الفلسفة كنمط فكري جديد قائم على العقل والحجة والبرهان. بيد أنه وعلى الرغم من اختلافهما، فإن ذلك لا يُلغي مشاركتهما في وحدة الموضوع، وهو السعي إلى تقديم تفسيرٍ للأحداث الكونية وفهم حقيقة الوجود. لذلك فلا غرابة، أن يرى "فرنان" في نشأة الفلسفة أنها تطور تدريجي وتحولاً نحو التفكير العقلاني لما تمَّ مُعالجته سابقاً من قبل الأسطورة.

2- يرى "جان بيير فرنان" أن انتصار العقل على الميثة، كان من خلال مظهرين أساسيين:

الأول: يتمثل في الانتقال من التفسير الخرافي الميثوبي للطبيعة إلى تفسير وضعي عقلائي، حيث لم يعد ارجاع ما يجري على مستوى الطبيعة من أحداث إلى قوى خارقة ومفارقة لما هو طبيعي، بل بارجاعها إلى عناصر أولية مجردة، وهكذا فخلف هذا الصراع والتغير هناك مبادئ ثابتة تُعبر عن الخاصية المميزة للمجتمع اليوناني خلال القرن السادس ق.م، وهي التنظيم، الترابط المنطقي والعقلانية.

الثاني: يتمثل في الانخراط في تنظيم سياسي جديد، هو المدينة، حيث أصبحت الشؤون الاجتماعية والسياسية للمدينة تُناقش جماعياً في الساحة العامة (الأغورا)، أين يتم تبادل الآراء والحجج والبراهين العقلانية حولها من أجل

الانتهاء إلى قرار مشترك يعبر عن التفاهم العقلاني، بعدما كان المجتمع وقضاياها السياسية مرتبطاً بالأحداث الكونية التي كان يتم تفسيرها عن طريق القوى الماورائية، وهكذا تم التخلص من التفسير الأسطوري في شأن الأمور الاجتماعية والسياسية والعودة إلى اللوغوس بصفته القانون الكوني الذي يجب على الجميع الالتفات حولَه والاستنادُ عليه، لما يتعلق الأمر بالصالح العام للمدينة.

6. قائمة المصادر والمراجع

1. روز، جاكلين، (2011)، مغامرة الفكر الأوروبي، قصة الأفكار الغربية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي.
2. فرنان، جان بيار، (1987)، أصول الفكر اليوناني، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
3. فرنان، جان بيار، (2012)، الأسطورة والفكر عند اليونان، المنظمة العربية للترجمة، لبنان.
4. نيتشه، فريدريك، (1983)، الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
5. هـ، فراكفورت، (1980)، ما قبل الفلسفة، الانسان في مغامرته الفكرية الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.